

العنوان:	قراءة تربوية لثمرات كظم الغيظ في السنة النبوية
المصدر:	دراسات دعوية
المؤلف الرئيسي:	دولة، محمد عمر
المجلد/العدد:	ع8
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2004
الناشر:	جامعة افريقيا العالمية - المركز الإسلامي الافريقي
الشهر:	يوليو
الصفحات:	147 - 102
رقم MD:	640108
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	IslamicInfo
مواضيع:	التربية الإسلامية الإسلامية المبادئ ، الغيظ كظم ، النبوية السنة ، الاجتماعية الأحوال ، الإسلامية الأخلاق ،
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/640108

قراءة تربوية لثمرات كظم الغيظ في السنة النبوية

قراءة تربوية لثمرات كظم الغيظ في السنة النبوية



د. محمد عمر دولة*

مقدمة:

[1] أهمية الدراسات التربوية:

لما كانت النفس البشرية أشبه بقلعة حصينة ودرة مصونة! وبحر زاهر وموج متلاطم! ووادٍ سحيق وفج عميق! فقد جاءت النصوص لتسير أغوارها وتكشف أسرارها وترفعها عند انحطاطها، وتنفي عنها ما يحول بينها وبين صفائها وإشراقها! ومن هنا فقد اعتنت السنة النبوية عناية عظيمة بمسائل التربية، وتتبع مسالك العاطفة والانفعال وغاصت في مسارب النفس البشرية! مقتفية طريقة القرآن في التربية العامة للاعتقاد والانفعال، والأقوال والأفعال، والسِّر والإعلان، كما قال الله عز وجل: (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الأنعام: 162) "إنه التجردُ الكاملُ لله، بكلِّ حاجةٍ في القلبِ وبكلِّ حركةٍ في الحياةِ بالصلاةِ والاعتكافِ وبالحيا والمماتِ، بالشعائرِ التعبديةِ وبالحياةِ الواقعيةِ وبالمماتِ وما وراءه؛ إنها تسيحةُ (التوحيد) المطلقِ والعبوديةِ الكاملةِ، تجمع الصلاةِ والاعتكافِ والحيا والمماتِ، وتخلصها لله وحده ربِّ العالمين... وفي (إسلام) كاملٍ لا يستبقي في النفسِ ولا في الحياةِ بقيةً لا يعبدها إلا الله، ولا يحتجز دونه شيئاً في الضميرِ ولا في الواقع!"¹

*باحث في منظمة المشكاة الخيرية وجمعية القرآن الكريم — السودان .

1 في ظلال القرآن لسيد قطب 1240/8-1241. دار الشروق القاهرة. الطبعة الثلاثون. 1422هـ.

قراءة تربوية لثمرات كظم الغيظ في السنة النبوية

[2] وصية المحدثين بالعناية بالثمرات التربوية:

من روائع شريعتنا السمحاء أن الآداب الشرعية في القرآن والسنة قد جاءت متشعبةً بتفاصيل السلام الاجتماعي، متبعةً أنماط السلوك المختلفة، لا تُغفل المعاني التربوية لردّ السلام وشيقّ التمرة وإعانة الرجل على دابته والابتسامه في وجه الأخ المسلم!

ومن هنا فقد اعتنى أهل الحديث بالنواحي التربوية أيّما عناية؛ وأكّدوا وجوب رعاية العهد مع الله، ولزوم مراقبة النفس ومعرفة الواجب اللائق بالانتساب إلى أهل العلم، فقال ابن القيم رحمه الله: "كلُّ عِلْمٍ وعَمَلٍ لا يزيّدُ الإيمانَ واليقينَ قوّةً فمدخولٌ!"¹ وقال الخطيب البغدادي في وصيته لطالب الحديث: "ليجعل حفظه الحديث حفظَ رعايةٍ لا حفظِ روايةٍ؛ فإنَّ رُوَاةَ العلومِ كثيرٌ، ورُعاته قليلٌ! وربُّ حاضرٍ كالعائب، وعالمٌ كالجاهل، وحاملٌ للحديثِ ليس معه منه شيءٌ؛ إذ كان في أطراحِهِ لِحُكْمِهِ بمِثْلَةِ الذاهِبِ عن معرفتِهِ وعِلْمِهِ!"²

[3] أهمية بيان ثمرات كظم الغيظ في السنة النبوية:

لا شك أن أهمية الكتابة في هذا الموضوع تنبع من كثرة الثمرات الإيمانية والأخلاقية والنفسية والاجتماعية والمنهجية لكظم الغيظ؛ ولشدة حاجة المسلمين إلى العفو والمسامحة في زماننا الذي كثر فيه التنازع والتشردم؛ مما يجعل الدعاء وطُلاب العلم مُشْفِقِينَ على الأمة من الفشل وذهاب الرّيح؛ وحسبُك بهذا فائدةً عِلْمِيَّةً! كما

1 الفوائد لابن القيم ص 98. دار الكتب العلمية بيروت. ط6. 1420 هـ.

2 الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي 87/1. مكتبة المعارف الرياض. ط 1 هـ.

قراءة تربوية لثمرات كظم الغيظ في السنة النبوية

قال الحافظ ابن رجب: "أما فقهاء أهل الحديث العاملون به؛ فإنَّ معظمَ همِّهم البحثُ عن معاني كتاب الله عزَّ وجل، وما يفسِّره من السنن الصحيحة... ثم التفقه فيها وفهمها... ومسائل الحلال والحرام وأصول السنة والزهد والرقائق وغير ذلك".¹ والله دَرُّ الأصمعي حيث قال:

ولم أرَ في الأشياءِ حينَ بَلَوْتُهَا عَدُوًّا لَلْبِ المرءِ أَعَدَى من العُضْبِ!

كظم الغيظ والغضب في اللغة :

[1] الغيظ والغضب:

ذكر العلامة ابن فارس أنَّ الغيظ "يدل على كَرَبٍ يلحق الإنسانَ من غيره، يُقال: غَاظَنِي يَغِيظُنِي وقد غِظَّتَنِي يا هذا! ورجلٌ غَائِظٌ وَغِيَاظٌ²، قال:

سُمِّيَتْ غِيَاظًا³ ولستَ بغَائِظٍ عَدُوًّا وَلَكِنَّ الصَّدِيقَ تَغِيظُ!⁴

1 جامع العلوم والحكم للحافظ ابن رجب ص 124. جمعية إحياء التراث الإسلامي. ط 1. 1419 هـ.

² لسان العرب 451/7. دار صادر بيروت. ط 6. 1417 هـ.

³ ذكر ابن منظور أنَّ حضين بن المنذر هجا ولده غياظاً بقوله:

تَلِينُ لأهلِ الغِلِّ والغَمْرِ منهمُ وأنتَ على أهلِ الصفاءِ غليظُ!

وسُمِّيَتْ غِيَاظًا ولستَ بغَائِظٍ عَدُوًّا وَلَكِنَّ الصَّدِيقَ تَغِيظُ!

فلا حفظَ الرحمنِ روحَكَ حَيَّةً ولا وهي في الأرواحِ حينَ تَفِيظُ!

عَدُوُّكَ مسرورٌ وذو الودِّ بالذي يرى منك من غيظٍ عليك كظيظُ!

لسان العرب 451/7. دار صادر بيروت. ط 6. 1417 هـ.

4 معجم مقاييس اللغة لابن فارس 405/4. دار الكتب العلمية.

قراءة تربوية لثمرات كظم الغيظ في السنة النبوية

وأما الغضب فبيّن أنه "يدل على شدّة وقوّة، يقال: إن الغضبة الصخرة الصلبة؛ قالوا: ومنه اشتقّ الغضب؛ لأنه اشتداد السُّخْط".¹ وقال الجوهري: "الغيظ: غضبٌ كامنٌ للعاجز، يُقال: غاظه فهو مغيظٌ".²

وقد مال القرطبي إلى التفريق بين الغضب والغيظ، فقال: "كظمُ الغيظ: ردُّه في الجوف، يُقال: كظمَ غيظَه أي سكت عليه ولم يُظهره مع قدرته على إيقاعه بعدوّه، وكظمتُ السِّقاء أي ملأته وسدّدتُ عليه... ومنه رجلٌ كظيمٌ ومكظومٌ إذا كان ممتلئاً غمّاً وحزناً، وفي الترتيل: (وابيضَّت عيناهُ من الحُزن فهو كظيم)، (ظلَّ وجهه مسودّاً وهو كظيم)، (إذ نادى وهو مكظوم). والغيظ أصلُ الغضب، وكثيراً ما يتلازمان؛ لكن فرقان ما بينهما أن الغيظ لا يظهر على الجوارح، بخلاف الغضب فإنه يظهر في الجوارح مع فعلٍ ما ولا بد... وفسر بعضهم الغيظ بالغضب وليس بجيد".³ ولا يخفى أنه يشهد لاستعمال الغضب في محل الغيظ قول الراعي في غليان القدر:

إذا أحمشوها بالوقودِ تغضبتْ
على اللحمِ حتى تترك اللحمَ بادياً!⁴
فـ(تغضبتْ) هاهنا في مكان (تغيّظت).

1 المرجع السابق 4/429.

2 الصحاح للجوهري 3/1176. دار العلم للملايين بيروت. ط. 2. 1399 هـ.

3 الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 4/206-207.

4 لسان العرب 1/649.

قراءة تربوية لثمرات كظم الغيظ في السنة النبوية

وقد ذكر ابن منظور أن "الغيظ: الغضب، وقيل: الغيظ غضبٌ كامنٌ للعاجز، وقيل: هو أشدُّ من الغضب، وقيل: هو سَوْرُته وأوله، وغظتُ فلاناً أغيظُهُ غيظاً... والتغيُّظ: الاعتياظ... وقال تعالى: (تكاد تَمَيِّزُ من الغيظ) أي من شدة الحر".¹

ومما يُعين على الترجيح هاهنا معرفة الاشتقاق.

[2] أصل الاشتقاق:

قال ابن فارس: "الكاف والطاء والميم: أصلٌ صحيحٌ يدل على معنى واحدٍ، وهو الإمساك والجمع للشيء. من ذلك: الكظم: اجتراع الغيظ والإمساك عن إبدائه؛ وكأنه يجمعه الكاظمُ في جوفه، قال الله تعالى: (والكاظمين الغيظ). والكَظوم: السكوت، والكَظوم: إمساك البعير عن الجِرَّة، والكَظَم: مخرج النَّفَس، يقال: أخذ بكَظْمِهِ، ومعنى ذلك قياس ما ذكرناه؛ لأنه كأنه منع نَفَسَه أن يخرج. والكِظائم: خُرُوقٌ تُحْفَرُ يجري فيها الماء من بئرٍ إلى بئرٍ؛ وإنما سُمِّيتْ كِظَامَةً لإمساكها الماء. والكِظامة أيضاً: الحلقة التي تجمع خيوطَ حديدة الميزان؛ وذلك من الإمساك أيضاً"²

[3] العلاقة بين الغيظ والغضب :

وهكذا فقد ظهر بالرجوع إلى أصل (الغيظ)، أنه في الاشتقاق اللغوي يدلُّ على "الإمساك والجمع للشيء". فهو بهذا المعنى انفعالٌ داخليٌّ كامنٌ ليس له ظهورٌ

1 لسان العرب لابن منظور 451/7.

2 معجم مقاييس اللغة لابن فارس 184/5-185.

قراءة تربوية لثمرات كظم الغيظ في السنة النبوية

في الخارج، بخلاف الغضب، فإنّ علاماته تظهر من خلال تغيير الوجه واضطراب الجوارح . وهكذا يؤكد قول القرطبي رحمه الله .

وأما تفسير الغيظ بأنه (كامن) كما ذكره الجوهري وغيره فصحيح، ولكن تقييده بـ(العاجز) ليس بدقيق — وإن كان مقبولاً من جهة التمثيل — لأنّه قد يكون مع القدرة على إنفاذه عند (الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس) . ومن محاسن التعريف أن يكون جامعاً مانعاً .

وقال الشيخ ابن عاشور : "كظم الغيظ : إمساكه وإخفاؤه حتى لا يظهر عليه، وهو مأخوذ من كظم القربة : إذا ملأها وأمسك فمها، قال المبرد : فهو تمثيل للإمساك مع الامتلاء" ¹ .

وقد استنبط بعض العلماء أنّ الغيظ مقترن بإرادة الانتقام من قول الله عزّ وجل : (عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ) (آل عمران:119) فقال القرطبي : "العضُّ عبارة عن شدّة الغيظ مع عدم القدرة على إنفاذه ... وعضّ الأنامل من فعل المغضب الذي فاته ما لا يقدر عليه، وأنزل به ما لا يقدر على تغييره" ² .

وقال الشيخ ابن عاشور : "عضّ الأنامل كناية عن شدّة الغيظ والتحسر وإن لم يكن عضّ الأنامل محسوساً ... فإنّ الإنسان إذا اضطرب باطنه من الانفعال، صدرت عنه أفعال تناسب ذلك الانفعال ... والغيظ غضب شديد يلزمه إرادة الانتقام" ³ . كما قال دعبل الخزاعي :

¹ تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور 91/3 . دار سحنون للنشر . تونس

² الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 182/4

³ تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور 66/4

قراءة تربية لثمرات كظم الغيظ في السنة النبوية

متى ترد الشفاء لكل غيظ تكن ممّا يغيظك في ازدياد
إذا لم تتسع أخلاق قوم تضيق بهم فسيحات البلاد¹
ويشهد لهذا المعنى قول الله تعالى: (وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ)
(التوبة: 14، 15) فقد ذكر أهل التفسير أنّ المراد بشفاء الصدور : ما يحصل من
المسرة والانشراح بالنصر، والمراد بذهاب الغيظ : استراحتهم من تعب الغيظ² .

وبناءً على ما سبق؛ فإنّ العلاقة بين الغضب والغيظ؛ علاقة عمومٍ وخُصوصٍ
مُطلقٍ؛ إما : لأنّ الغيظ أصلُ الغضب، فكثيراً ما يتلازمان؛ لكن فرقان ما بينهما أن
الغيظ لا يظهر على الجوارح، بخلاف الغضب فإنه يظهر في الجوارح مع فعلٍ ما ولا
بد كما قال القرطبي.

وإما لأنّ الغضب والغيظ يشتركان في الشدّة، ويختصّ الغيظ بوجود إرادة
الانتقام. ولعل هذا من لطائف عطفِ (العافين) على (الكاظمين) في قول الله عز
وجل: (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس)! ويؤكد ذلك ما رواه القرطبي عن
ميمون بن مهران رضي الله عنه "أنّ جاريته جاءت ذات يومٍ بصحيفةٍ فيها مرقّةٌ
حارّةٌ، وعنده أضيافٌ فعثرت فصبّت المرققة عليه، فأراد ميمون أن يضرها فقالت له
الجارية: يا مولاي استعمل قولَ الله تعالى: (والكاظمين الغيظ)، قال لها: قد فعلتُ،
فقالت: اعمل بما بعده: (والعافين عن الناس)؛ فقال: قد عفوتُ عنك؛ فقالت

¹ يُنسب هذان البيتان لدعبل بن علي الخزاعي، وليس في ديوانه الذي نشرته دار الكتاب اللبناني، بيروت، تحقيق
عمران اللجيلي ط 3، 1989م ولا عجباً، فليس لدعبل ديوان كامل مخطوط وإنما هي محاولة لجمع شعره،
فلعلّ هذا ممّا فات المحقّق جمعه . والله أعلم .

² تفسير التحرير والتنوير 136/10

قراءة تربية لثمرات كظم الغيظ في السنة النبوية

الجارية: (والله يحب المحسنين)؛ قال ميمون: قد أحسنتُ إليك؛ فأنت حرّة لوجه الله تعالى¹.

الثمرات الإيمانية لكظم الغيظ:

[1] كظم الغيظ تربية للإخلاص:

وقد عبّر النبي ﷺ عن ذلك أحسن تعبير في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (ما من جرعة أعظم عند الله من جرعة غيظ؛ كظمها عبدٌ ابتغاء وجه الله!)²

وما أحسن ما قرّره الطوفي رحمه الله في هذا الباب بقوله: "أقوى الأشياء في دفع الغضب: استحضار التوحيد الحقيقي، وهو أن لا فاعلَ إلا الله، وكل فاعلٍ غيره فهو آله؛ فمن توجّه إليه بمكروهٍ من جهةٍ غيره فاستحضر أن الله لو شاء لم يُمكن ذلك الغير منه اندفع غضبه؛ لأنه لو غضب والحالة هذه كان غضبه على ربه جلّ وعلا، وهو خلاف العبودية!"³ قال ابن حجر: "وهذا يظهر السرّ في أمره صلى الله عليه وسلم الذي غضب أن يستعبد من الشيطان؛ لأنه إذا توجّه إلى الله في تلك الحالة بالاستعاذة به من الشيطان أمكنه استحضار ما ذكر، وإذا استمرّ الشيطان متلبساً متمكناً من الوسوسة؛ لم يُمكنه من استحضار شيء من ذلك".⁴

1 الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 207/4.

2 رواه ابن ماجه في كتاب الزهد. باب الحلم. وصحّحه العلامة بشار عواد معروف في تحقيق سنن ابن ماجه 603/5. دار الجيل بيروت. ط. 1. 1418 هـ.

3 نقله الحافظ ابن حجر في فتح الباري 151/12.

4 المرجع السابق.

قراءة تربوية لثمرات كظم الغيظ في السنة النبوية

ومن أحسن ما يوضح علاقة كظم الغيظ بالإخلاص؛ أن العبد الذي يعفو ويتجاوز إنما يحتسب الأجر من عند الله، ويرجو العز من جنابه، كما روى مسلم في باب (استحباب العفو والتواضع) من كتاب (البر والصلة) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: (ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله؛ إلا رفعه الله)!¹ قال الحافظ النووي بعد تقريره وجهين من المعنى "أن من عرّف بالعفو والصفح؛ ساد وعظم في القلوب، وزاد عزه وإكرامه، والثاني: أن المراد أجره في الآخرة وعزّه هناك... قال العلماء: وهذه الأوجه في الألفاظ الثلاثة موجودة في العادة معروفة، وقد يكون المراد الوجهين معاً في جميعها في الدنيا والآخرة".²

ومن علامات الإخلاص أن لا يغضب المرء لنفسه؛ بل يصبر على الأذى ويتحمل في سبيل الله العناء؛ رجاء أن ينال القبول والرضا، كما قال ابن معين لما رفسه الحافظ أبو نعيم الفضل بن دكين حين امتحنه في قلب الأسانيد: "والله لهذه الرفسة أحب إليّ من كل شيء"³. ولعل الشاطي قد أشار إلى هذا الأسلوب من التربية في قوله:

وقد قيل: كُنْ كالكلب يُقْصِيهِ أَهْلُهُ وَلَا يَأْتِلِي فِي نُصْحِهِمْ مَتَبِّلاً⁴

وقد عدّ ابن قدامة من الرّياء الخفي: أن يغضب الإنسان إذا تجاهله الناس، أو عاملوه كعامّة المسلمين؛ فـ"إذا رأى الناس أحبّ أن يبدؤوه بالسلام، وأن يقابلوه

1 شرح النووي على مسلم 141/16. دار إحياء التراث العربي. ط3.

2 المرجع السابق 141-142.

3 المرجع السابق 136/1

4 مقدمة حرز الأمان ووجه التهاني (في القراءات السبع المتواترة).

قراءة تربية لثمرات كظم الغيظ في السنة النبوية

بالبشاشة والتوقير، وينشطوا في قضاء حوائجه، ويسامحوه في المعاملة، ويوسعوا له المكان؛ فإن قصر في ذلك مقصر ثقّل على قلبه، ووجد لذلك استبعاداً في نفسه؛ ليتقاضى الاحترام على الطاعة التي أخفاها"¹. وشتان بين من هذا حاله وبين العبد الصالح الذي لا يهّمه رضي الخلق أم سخطوا إذا أدى حق الله ورسوله! بل هو على يقين بأن السفهاء لا يرضون بالمعروف أصلاً، ولا يرون لصاحب الخير فضلاً؛ فلا يبالي بهم! بل ينشد مع الزبيدي:

إذا رضيت عني كرام عشيرتي فلا زال غضباناً عليّ لغامها!²

[2] إظهار الغضب خيرة على حرّامات الله محرّ وجل:

إنّ العبد المخلص يفرّق بين حقّ ربّه، فيغضب لحق ربّه ويتسامح في حقّ نفسه، كما قالت أمنا عائشة رضي الله عنها: (ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده، ولا امرأة ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه؛ إلا أن يُنتهك شيء من محارم الله تعالى فينتقم لله تعالى)³.

وقد كثرت الأحاديث التي تؤكد غضب النبي ﷺ لحدود الله إذا انتهكت. منها: ما ورد من النهي عن إطالة الصلاة مما يؤدّي إلى تنفير الناس والمشقة على الكبير والصغير وذوي الحاجة، كما جاء في حديث أبي مسعود رضي الله عنه قال:

1 مختصر منهاج القاصدين لأحمد بن قدامة ص 239. مكتبة دار البيان. دمشق. ط2. 1420 هـ.

2 راجع مقدمة تاج العروس بشرح جواهر القاموس للزبيدي. طبعة دار الفكر بيروت.

3 رواه مسلم في كتاب فضائل النبي ﷺ باب (مباعدته ﷺ) للأثم واختياره من المباح أسهله وانتقامه لله عند انتهاك حرّاماته) شرح النووي 83/15.

قراءة تربية لثمرات كظم الغيظ في السنة النبوية

(جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: إِنِّي لَأَتَأَخَّرُ عَنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ مِنْ أَجْلِ فُلَانٍ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا؛ فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ غَضِبَ فِي مَوْعِظَةٍ قَطُّ أَشَدَّ مِمَّا غَضِبَ يَوْمَئِذٍ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ مِنْكُمْ مَنْفَرَيْنِ؛ فَأَيُّكُمْ أَمَّ النَّاسَ فَلْيُوجِزْ؛ فَإِنَّ مِنْ وَرَائِهِ الْكَبِيرَ وَالصَّغِيرَ وَذَا الْحَاجَةَ).¹

أو النهي عن الشفاعة في حدٍّ من حدود الله، كما قال ﷺ لأسامة بن زيد رضي الله عنهما: (أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ؟) إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَهْمُ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكَوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ! وَأَيُّمَ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا).²

وقد يكون الغضب؛ لأجل رؤية ما يُسَخِّطُ الله عز وجل، كما حدث عند رؤية صور التماثيل في قِرامٍ لعائشة (فلما رآه رسولُ الله ﷺ هَتَكَهُ وَتَلَوْنَ وَجْهَهُ وَقَالَ: يَا عَائِشَةُ أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهَوْنَ بِخَلْقِ اللَّهِ).³

1 رواه البخاري في كتاب الأذان باب إذا طَوَّلَ الإمام وكان للرجل حاجة فخرج وصَلَّى، فتح الباري 431/2، ورواه مسلم في كتاب الصلاة باب (أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في جماعة) شرح النووي على مسلم .

2 متفق عليه . رواه البخاري في كتاب الحدود باب (كراهية الشفاعة في الحد إذا رُفِعَ إلى السلطان) فتح الباري 38/14 . ومسلم في كتاب الحدود قطع يد السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود شرح النووي على مسلم 186/11 .

3 رواه البخاري ومسلم، وقال النووي: "القِرام — بكسر القاف — سِتْرٌ رقيق، وهتَكَهُ: أفسد الصورة التي فيه". رياض الصالحين ص 284.

قراءة تربوية لثمرات كظم الغيظ في السنة النبوية

وكذلك عندما (رأى ﷺ نُحَامَةً فِي الْقِبْلَةِ؛ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ؛ حَتَّى رُؤِيَ فِي وَجْهِهِ؛ فَقَامَ فَحَكَهُ بِيَدِهِ فَقَالَ: إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ فِي صَلَاتِهِ فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ، وَإِنَّ رَبَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ؛ فَلَا يَبْزُقَنَّ أَحَدُكُمْ قَبْلَ الْقِبْلَةِ، وَلَكِنْ عَنِ يَسَارِهِ أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ...)¹

[3] كظم الغيظ من علامات الولاء للمسلمين:

وقد نصَّ العلماء على ذلك في تفسير قول الله عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ) (المائدة:54) فقال القرطبي: "أي يرافون بالمؤمنين ويرحمونهم ويلينون لهم... ويغلظون على الكافرين ويُعادونهم، قال ابن عباس: هم للمؤمنين كالوالد للولد والسيد للعبد، وهم في الغلظة على الكفار كالسبع على فريسته، قال الله تعالى: (أشداء على الكفار رحماء بينهم)"².

فتلك هي البواعث العقديَّة التي تُميِّزُ علاقة المؤمنين فيما بينهم عن علاقتهم بغيرهم؛ "فهي الشدة لله والرحمة لله، وهي الحمية للعقيدة والسماحة للعقيدة؛ فليس لهم في أنفسهم شيء، ولا لأنفسهم فيهم شيء! وهم يُقيمون عواطفهم ومشاعرهم كما يُقيمون سلوكهم وروابطهم على أساس عقيدتهم وحدها: يشتدون على أعدائهم فيها، ويلينون لإخوتهم فيها؛ قد تجردوا من الأنانية ومن الهوى ومن الانفعال لغير الله!"³

1 متفق عليه. وقال النووي: "الأمرُ بالبصاق عن يساره أو تحت قدمه هو فيما إذا في غير المسجد، فأما في

المسجد فلا يبصق إلا في ثوبه" رياض الصالحين ص 285.

2 الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 6/220.

3 في ظلال القرآن 26/3332.

قراءة تربوية لثمرات كظم الغيظ في السنة النبوية

ويزيد الأمر وضوحاً النص في هذا السياق على أن هذه العلاقة الحميمة بين المؤمنين تُعجب الزُّرَّاعَ وَتَغِيظُ الكفارَ، وذلك يذكّر بقول الله تعالى: (وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْتُوا بَعْضِكُمْ آيَاتِكُمْ وَاللَّهُ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخِزُّهُمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَيُذْهِبَ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ) (التوبة:14،15) "يشفها من غيظها المكظوم؛ بانتصار الحق كاملاً وهزيمة الباطل وتشريد المبطلين".¹ وقال السعدي: "هذا يدل على محبة الله لعباده المؤمنين واعتنائه بأحوالهم؛ حتى إنه جعل من جملة المقاصد الشرعية شفاء ما في صدورهم وذهاب غيظهم".² وقال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: (وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ): "وذلك أشدُّ الغيظِ والحنق، قال الله تعالى: (قُلْ مُؤْتُوا بَعْضِكُمْ آيَاتِكُمْ) أي مهما كنتم تحسدون عليه المؤمنين وَيَغِيظُكُمْ ذلك منهم؛ فاعلموا أن الله مُتِمُّ نِعْمَتِهِ على عباده المؤمنين ومُكْمِلُ دِينِهِ ومُعَلِّ كَلِمَتِهِ ومُظَهِّرُ دِينِهِ؛ فموتوا أنتم بغيظكم".³

[4] كظم الغيظ علامة الأخوة الصادقة:

وقد بين الحافظ ابن كثير هذا الأمر في تفسير قول الله عز وجل: (فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ) (المائدة:54) فقال: "هذه صفات المؤمنين الكُمَّل: أن يكون أحدهم متواضِعاً لأخيه وولِيهِ متعزِّزاً على خصمِهِ وعدوِّهِ، كما قال تعالى: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى

1 في ظلال القرآن لسيد قطب 1612/10.

2 تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ص 331. مؤسسة الرسالة بيروت. ط 1. 1421 هـ.

3 تفسير القرآن العظيم 520/1.

قراءة تربوية لثمرات كظم الغيظ في السنة النبوية

الْكَفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) (الفتح:29)، وفي صفة رسول الله ﷺ أنه الضحوك القتال؛ فهو ضحوكٌ لأوليائه قتالٌ لأعدائه".¹

وقد جعل الله عزّ وجلّ من أسباب حلاوة الإيمان (أن يُحبّ المرء؛ لا يُحبه إلا لله).² وقال تعالى: (الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ) (الزحرف:67) وشتان بين من يقولون: (رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا) (الحشر:10) وبين من يتخاصمون في الدنيا ثم في نار جهنم (كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا) (الأعراف:38) وقد طال ثناء العرب على الذي يغلبُ حقَّ صاحبه في الأخوة والحُبِّ على حق نفسه في العتب والغضب! كما قيل:

وإني لمشتاقٌ إلى ظلِّ صاحبٍ يروقُ ويصفو إن كدّرتُ عليه!

وقال المرقش الأصغر:

أحوك الذي إن أحوجتك مُلِمةً من الدهرِ لم يبرح لها الدهرَ واجماً!

وليس أحوك بالذي إن تشعبت عليك أمورٌ ظلَّ يلحاك لائماً!

ذلك أن المحبة الصادقة لم تُبق شيئاً من حظوظ النفس! لأن العاقل لا صبر للعاقل على فراق الأصفياء الأنقياء، وهم أولى الناس بالمحبة والإحياء، كما قال المؤمل المحاربي:

1 تفسير القرآن العظيم لابن كثير 98/2. جمعية إحياء التراث الإسلامي الكويت. ط5. 1420 هـ.

2 رواه الشيخان في كتاب الإيمان.

تراءة تربوية لثمرات كظم الغيظ في السنة النبوية

لا تَعْضَبَنَّ عَلَى قَوْمٍ تَحِبُّهُمْ
فليس منك عليهم ينفع الغضب!
ولا تُحَاصِمَهُمْ يَوْمًا وَإِنْ ظَلَمُوا
إِنَّ الْوَلَاةَ إِذَا مَا خُوْصِمُوا غَلَبُوا!
ولله درُّ أبي فراس ما أعذبَ قوله:
أساءَ فَرَادَتُهُ الْإِسَاءَةَ حِطْوَةً
حبيبٌ على ما كان منه حبيباً!
يَعُدُّ عَلَيَّ الْوَاشِيَانِ ذُنُوبَهُ
ومِنَ أَيْنَ لِلْوَجْهِ الْجَمِيلِ ذُنُوبٌ؟!¹

الثمار الأخلاقية لكظم الغيظ:

[1] تكامل الأخلاق في الإسلام:

لا شك أن منظومة الأخلاق الإسلامية وحدة متكاملة؛ فلا يمكن فصل كظم الغيظ عن الحلم والأناة والتواضع وخفض الجناح وحسن الخلق... كما بين القرطبي ذلك بقوله في تفسير قول الله تعالى: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) (الأعراف: 199) "هذه الآية من ثلاث كلمات تضمنت قواعد الشريعة في المأمورات والمنهيات؛ فقوله (خذ العفو) دخل فيه صلة القاطعين والعفو عن المذنبين والرفق بالمؤمنين وغير ذلك من أخلاق المطيعين، ودخل في قوله: (وأمر بالعرف) صلة الأرحام وتقوى الله في الحلال والحرام، وغض الأبصار والاستعداد لدار القرار. وفي قوله: (وأعرض عن الجاهلين) الحض على التخلق بالعلم، والإعراض عن أهل الظلم، والتتره عن منازعة السفهاء ومساواة الجهلة الأغبياء وغير ذلك من الأخلاق الحميدة والأفعال الرشيدة".²

¹ ديوان أبي فراس الحمداني ص 54، دار الجيل بيروت، شرح د. يونس شكري فرحات .

² الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 344/7. مؤسسة مناهل العرفان بيروت.

قراءة تربوية لثمرات كظم الغيظ في السنة النبوية

[2] فضل كظم الغيظ:

وردت أحاديثٌ عدَّةٌ في فضلِ كظمِ الغيظِ والعفو عن الناسِ ومِلْكِ النفسِ عندِ الغضبِ؛ "وذلك من أعظمِ العبادَةِ وجهادِ النفسِ؛ فقال ﷺ: (ليس الشديد بالصُّرعة؛ ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)"¹.

وقد بشّر الله عباده الصالحين الذين يملكون أنفسهم عند الغضب بالأجر العظيم، فقال جل جلاله: (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (آل عمران: 134)، وقال تبارك وتعالى مقررًا "أَنَّ ذَلِكَ لَا يُعْطِيهِ اللَّهُ إِلَّا لَّذِي الْحِطُّ الْكَبِيرَ وَالْبَحْتِ الْعَظِيمَ عِنْدَهُ"³: (وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) (فصلت: 35) وكلُّ ذلك يؤكِّد أن "العفو عن الناس من أجلِّ ضروبِ فعلِ الخير!"⁴ وقد عبّر عن هذا سالم بن وابصة الأسدي خير تعبيرٍ حين قال:

أحبُّ الفتى ينفي الفواحشَ سمعُهُ كأنَّ به عن كلِّ فاحشةٍ قرأ!
سليم دواعي الصدر لا باسطاً أذى ولا مانعاً خيراً ولا قاتلاً هجراً!

1 أخرجه البخاري في كتاب الأدب. فتح الباري 148/12، دار الفكر بيروت. ط1. 1414هـ. وأخرجه مسلم في كتاب البر والصلة. باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأي شيء يذهب الغضب؟ شرح النووي على مسلم 162/16.

2 الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 207/4-208.

3 أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن 47/2. دار الفكر بيروت. 1415هـ.

4 الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 207/4.

قراءة تربوية لثمرات كظم الغيظ في السنة النبوية

[3] كظم الغيظ سبيلٌ إلى مكارم الأخلاق:

وقد أثنى الله عزَّ وجلَّ على أخلاقِ رسولِ الله ﷺ بقوله: (فبما رحمةٍ من الله لنت لهم ولو كنتَ فظاً غليظَ القلب لانفضوا من حولك)؛ فقد بيّنت الآية الثمرات الاجتماعية للتخلُّق بالرحمة واللين وتركِ الفظاظة والغلظة.

كما "مدح الله تعالى الذين يغفرون عند الغضب وأثنى عليهم، فقال: (وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ) (الشورى:3) وأثنى على الكاظمين الغيظ بقوله: (وَالْكَاطِمِينَ الْعَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ) (آل عمران:134)، وأخبر أنه يجبهم بإحسانهم في ذلك".¹

وقد نقل الحافظ ابن كثير عن قتادة في قول الله تعالى: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) قال: "هذه أخلاقُ أمر الله بها نبيه ﷺ، ودلُّه عليها، وقد أخذ بعض الحكماء هذا المعنى فسبكه في بيتين فيهما جناس:

خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ كَمَا أُمِرْتَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ!
وَلَنْ فِي الْكَلَامِ لِكُلِّ الْأَنَامِ فَمُسْتَحْسَنٌ مِنْ ذَوِي الْجَاهِ لَيْنٍ!²

وقال الحافظ ابن حجر: "رؤي عن جعفر الصادق أنه قال: ليس في القرآن آيةٌ أجمع لمكارم الأخلاق منها؛ ووجهه بان الأخلاق ثلاثة بحسب القوى الإنسانية: عقليةٌ وشهويةٌ وغضبيةٌ، فالعقلية: الحكمة، ومنها الأمر بالمعروف، والشهوية: العفة، ومنها أخذ العفو، والغضبية: الشجاعة، ومنها الإعراض عن

1 الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 207/4.

2 تفسير القرآن العظيم لابن كثير 369/2.

قراءة تربوية لثمرات كظم الغيظ في السنة النبوية

الجاهلين. وروى الطبري مرسلًا وابن مردويه موصولاً من حديث جابر وغيره: (لما نزلت (خذ العفو وأمر بالعرف) سال جبريل، فقال: لا أعلم حتى أسأله، ثم رجع فقال: إِنَّ رَبَّكَ يَا مَرْكَ أَنْ تَصَلَ مِنْ قَطْعِكَ، وَتَعْطِيَ مِنْ حَرْمِكَ، وَتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ).¹

وقال العلماء في تفسير قول الله عز وجل: (خُذِ الْعَفْوَ): "عَمَّتِ الْآيَةُ صَوْرَ الْعَفْوِ... فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَعْفُو وَيَصْفَحَ؛ وَذَلِكَ بِعَدَمِ الْمُواخَذَةِ بِجَفَائِهِمْ وَسَوْءِ خَلْقِهِمْ؛ فَلَا يِعَاقِبُهُمْ وَلَا يُقَابِلُهُمْ بِمِثْلِ صَنِيعِهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ) (آل عمران:159)".²

وقد ذكر العلماء أن كظم الغيظ من مكارم الأخلاق، فقالوا:

مكارم الأخلاق في ثلاثة من كملت فيه فذاك الغنى!
إعطاء من تحرمه ووصل من تقطعه والعفو عمن اعتدى!³
وما أطف قول عمرو بن الأهم:

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها ولكن أخلاق الرجال تضيق!

1 فتح الباري لابن حجر 196/9.

2 تفسير التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور 226/5-227.

3 الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 345/7.

قراءة تربوية لثمرات كظم الغيظ في السنة النبوية

الثمرات النفسية لكظم الغيظ:

[1] بيان أن الغضب من نزغات الشيطان:

ويوضح ذلك ما رواه سليمان بن صرد رضي الله عنه قال: (استب رجلان عند النبي ﷺ؛ فغضب أحدهما فاشتد غضبه حتى انتفخ وجهه وتغير، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه الذي يجد (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)؛ فانطلق إليه الرجل فأخبره بقول النبي ﷺ، وقال: تعوذ بالله من الشيطان؛ فقال: أترى بي بأس؟ أمجنون أنا؟ اذهب!)¹

قال الحافظ النووي: "فيه: أن الغضب في غير الله تعالى من نزغ الشيطان، وأنه ينبغي لصاحب الغضب أن يستعيد فيقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وأنه سبب لزوال الغضب، وأما قول الرجل الذي اشتد غضبه: هل ترى بي من جنون؟ فهو كلام من لم يفقه في دين الله تعالى ولم يتهذب بأنوار الشريعة المكرمة، وتوهم أن الاستعاذة مختصة بالجنون، ولم يعلم أن الغضب من نزغات الشيطان؛ ولهذا يخرج به الإنسان عن اعتدال حاله ويتكلم بالباطل ويفعل المذموم، وينوي الحقد والبغض وغير ذلك من القبائح المترتبة على الغضب؛ ولهذا قال النبي ﷺ للذي قال له: أوصني! (لا تغضب! فردد مراراً، قال: لا تغضب!)² فلم يزد في الوصية على (لا

1 رواه البخاري في كتاب الأدب. باب ما يُنهى عن السباب واللعن. فتح الباري 83/12. ورواه مسلم في

كتاب البر والصلة. باب فضل من يملك نفسه عند الغضب. شرح النووي على مسلم 163/16.

2 رواه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. في الأدب باب الحذر من الغضب؛ لقوله تعالى: (والذين

يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا غضبوا هم يغفرون) وقوله عز وجل: (الذين يُنفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وبشّر المحسنين). فتح الباري 148/12،

قراءة تربوية لثمرات كظم الغيظ في السنة النبوية

تغضب!) مع تكراره الطلب؛ وهذا دليل ظاهر في عظم مفسدة الغضب، وما ينشأ منه، ويحتمل أن هذا القائل: (هل ترى بي من جنون؟) كان من المنافقين أو من جفاة الأعراب¹.

وكذلك قال الحافظ ابن حجر: "أخلق بهذا المأمور أن يكون كافراً أو منافقاً؛ أو كان غلب عليه الغضب حتى أخرجته عن الاعتدال؛ بحيث زجر الناصح الذي دلّه على ما يُزيل عنه ما كان به من وهج الغضب بهذا الجواب السيء. وقيل: إنه كان من جفاة الأعراب وظن أنه لا يسنيذ من الشيطان إلا مَنْ به جنون، ولم يعلم أن الغضب نوعٌ من شرّ الشيطان؛ ولهذا يخرج به عن صورته ويزين إفساد ماله: كتقطيع ثوبه وكسر آنيته، أو الإقدام على من أغضبه ونحو ذلك مما يتعاطاه من يخرج عن حدّ الاعتدال، وقد أخرج أبو داود من حديث عطية السعدي رفعه (إن الغضب من الشيطان)² الحديث"³.

ولقد أحسن من قال:

للغيظِ تُبصِرُ ما تقولُ وتسمعُ!
يرضى بها عنك الإلهُ وترفعُ!⁴

وإذا غضبتَ فكنْ وقوراً كاظماً
فكفَى به شرفاً تصبرُ ساعةً

1 شرح النووي على مسلم 163/16.

2 وبقية الحديث (وإن الشيطان خُلِقَ من النار، وإنما تُطفأ النارُ بالماء، فإذا غضب أحدكم؛ فليتوضأ). سنن أبي داود ص 752. دار الكتب العلمية بيروت. ط 1. 1422 هـ.

3 فتح الباري 86/12.

4 الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 208/4.

قراءة تربوية لثمرات كظم الغيظ في السنة النبوية

[2] كظم الغيظ قوة نفسية جبارة:

وقد بين النبي ﷺ ذلك بقوله: (ليس¹ الشديد بالصُّرَعَة! إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)؛ فهذا أصلٌ عظيمٌ في اعتبار القوة النفسية — المقدمة على مجرد الاعتبارات البدنية — كـ(الصبر) و(العفو والإعراض عن الجاهلين)؛ ولذلك أخرج النووي بحسن نظره رحمه الله في هذين البابين من (رياض الصالحين)².

فالشديد بالمقياس النبوي هو الذي يغلب عاطفته ويقهر نوازعه و(يملك نفسه) و(يصرع غضبه)، كما جاء صريحاً عند أحمد (الصُّرَعَة كُلُّ الصُّرَعَة — كررها ثلاثاً — الذي يغضب فيشتد غضبه، ويحمر وجهه؛ فيصرع غضبه)³. وهذا هو الموافق لوصف القرآن للمتقين (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِبِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (آل عمران: 134) وهذا سر إخراج الإمام البخاري الحديث مقترناً بالآية في (كتاب الأدب)⁴.

قال الشيخ ابن عاشور: "لا شك أن أقوى القوى تأثيراً على النفس القوة الغاضبة؛ فتشتهي إظهار آثار الغضب، فإذا استطاع إمساك مظاهرها مع الامتلاء

1 راجع للتوسع في إدراك البلاغة النبوية لهذا التعبير البديع مقالة: (ليس... بين العبارة اللغوية والإشارة النبوية!)

بالموقع العلمي لمنظمة المشكاة الخيرية www.meshkat.net

2 رياض الصالحين للنووي ص 46-62.

3 أفاده الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري 149/12.

4 فتح الباري 148/12.

قراءة تربوية لثمرات كظم الغيظ في السنة النبوية

منها؛ دلّ ذلك على عزيمة راسخة في النفس وقهر الإرادة للشهوة. وهذا من أكبر قُوى الأخلاق الفاضلة".¹ وما أحسن قول المعري:

إذا المرء لم يغلب من الغيظ سورةً فليس وإن فضّ الصفاً بشديداً!²

[3] موقفة الخليقة لعمر رضي الله عنه:

وقد روى البخاري رحمه الله في كتاب التفسير باب (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (قدم عيينة بن حصن بن حذيفة، فزل على ابن أخيه الحرّ بن قيس، وكان من نفر الذين يُدنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شباناً؛ فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي لك وجهٌ عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه، قال: فاستأذن لك عليه، قال ابن عباس: فاستأذن الحرّ لعيينة؛ فأذن له عمر، فلما دخل عليه قال: هي يا ابن الخطاب فوالله ما تُعطينا الجزلَ ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى همّ به، فقال له الحرّ: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) وإنّ هذا من الجاهلين؛ فوالله ما جاوزها عمر حتى تلاها عليه: وكان وقفاً عند كتاب الله!)³

1 تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور 91/3.

2 لزوم ما يلزم لأبي العلاء المعري 368/1، دار صادر بيروت .

3 فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر 195/9.

قراءة تربوية لثمرات كظم الغيظ في السنة النبوية

[4] الغضب وخطورة آثاره على الإنسان:

إنَّ للغضب أضراراً صحيحةً تتجاوز النواحي الجسدية إلى الآثار النفسية،¹ كما قال القحطاني محذراً من الضرر الذي يقع بسبب الغضب على جسد الإنسان وعقله:

إياك والغضب الشديد على الدوا فلربما أفضى إلى الخذلان!²
وقال الحافظ ابن كثير: "قوله تعالى: (والكاظمين الغيظ) أي إذا تار بهم الغيظ كظموه: بمعنى كتموه؛ فلم يُعجلوه، وعفواً مع ذلك عمّن أساء إليهم. وقد ورد في بعض الآثار (يقول الله تعالى: يا ابن آدم اذكرني إذا غضبت؛ أذكرتك إذا غضبت؛ فلا أهلكك فيمن أهلك) رواه ابن أبي حاتم".³ وقد روى أحمد رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال: (ما الصرعة؟ قالوا: الصريع الذي لا تصرعه الرجال، فقال: الصرعة كل الصرعة الذي يغضب؛ فيشتد غضبه، ويحمرُّ وجهه، ويقشعُّ شعره؛ فيصرع غضبه!)⁴ وروى أحمد عن جارية بن قدامة السعدي أنه سأل رسول الله ﷺ فقال: (يا رسول الله قل لي قولاً ينفعني وأقلل عليّ لعليّ أعيه! فقال رسول الله ﷺ: لا تغضب! فأعاد عليه حتى أعاد إليه مراراً كل ذلك يقول: لا تغضب!) وروى أحمد

1 راجع خطورة الغضب من الناحية الطبية بالتفصيل في موقع الجزيرة www.algazeera.net برنامج

(بلا حدود) حلقات رمضان 1424 هـ.

2 نونية القحطاني ص 81. مطبعة سفير الرياض. ط4. 1420 هـ.

3 تفسير القرآن العظيم لابن كثير 527/1.

4 تفسير القرآن العظيم 528/1.

قراءة تربوية لثمرات كظم الغيظ في السنة النبوية

أن رجلاً قال: (يا رسولَ الله أوصني! قال: لا تغضب! قال الرجل: ففكرتُ حين قال النبي ﷺ ما قال؛ فإذا الغضبُ يجمع الشرَّ كلَّه).¹

ذلك أن "الغيظ انفعالٌ بشريٌّ تُصاحبهُ أو تُلاحقه فوراً من الدم؛ فهو إحدى دفعات التكوين البشري وإحدى ضروراته. وما يغلبه الإنسان إلا بتلك الشفافية اللطيفة المنبثقة من إشراق التقوى؛ وإلا بتلك القوة الروحية المنبثقة من التطلع إلى أفقٍ أعلى وأوسع من آفاق الذات والضرورات! وكظمُ الغيظ هو المرحلة الأولى، وهي وحدها لا تكفي؛ فقد يكظم الإنسان غيظه ليحقد ويضطغن؛ فيتحول الغيظُ الفائر إلى إحنةٍ غائرة، ويتحوّل الغضب الظاهر إلى حقدٍ دفين! وإن الغيظ والغضب لأنظفُ وأطهرُ من الحقد والضغن؛ لذلك يستمر النص ليقرّر النهاية الطليقة لذلك الغيظ العظيم في نفوس المتقين! إنها العفو والسماحة والانطلاق... إن الغيظ وقرُّه على النفس حين تكظمه، وشواذٌ يلفح القلب، ودخانٌ يخشى الضمير، فأما حين تصفح النفس ويعفو القلب؛ فهو الانطلاقُ من ذلك الوقر، والرפרفة في آفاق النور والبرد في القلب والسلام في الضمير!"²

[5] أمر الصائم بـكظم الغيظ:

ولا شكَّ أن في التوجيه النبوي للصائم أن يقول للذي يُقاتله أو يُشاتمته: (اللهم إني صائم!) التربية على الصبر وتحمل الأذى وحمل النفس على التحلُّق بالحلم والأناة! وتبذير الجهل والرقت والصخب؛ كما أخرج البخاري عن أبي هريرة

1 قال المحافظ ابن كثير بعد أن أورد هذين الحديثين: "انفرد بهما أحمد". تفسير القرآن العظيم 528/1

2 في ظلال القرآن لسيد قطب 475/4.

تذرية تربوية لثمرات كظم الغيظ في السنة النبوية

رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إذا كان يومُ صومِ أحدكم فلا يرفثْ، ولا يَصْحَبْ؛ فإن سابه أحدٌ أو قاتله فليقل: إني امرؤ صائم!)¹ وفي رواية: (فلا يرفثْ ولا يجهل؛ وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائمٌ مرتين!)²

قال الحافظ ابن عبد البر: "أما قوله: (فإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم) ففيه قولان: أحدهما: أنه يقول للذي يريد مُشَاتَمَتَهُ أو مُقَاتَلَتَهُ: إني صائم؛ وصومي ينعني من مُجاوِبتِكَ؛ لأنِّي أصون صومي عن الخنا والزور من القول؛ بهذا أُمرتُ ولولا ذلك لانتصرتُ لنفسي. بمثل ما قلت لي سواء ونحو ذلك. والمعنى حينئذٍ على هذا التأويل في الحديث: أن الصائم نُهيَ عن مُقاتَلَتِهِ بلسانه ومُشَاتَمَتِهِ وصونه صومه عن ذلك... والقول الثاني: أن الصائم يقول لنفسه في نفسه: إني صائمٌ يا نفسي؛ فلا سبيلَ إلى شفاءِ غيظِكَ بالمشاتمة!"³

[6] كظم الغيظ وأثره في صيانة الشخصية الناجحة:

وقد روى ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال لأشج عبد قيس: (إن فيك حصلتين يحبهما الله ورسوله: الحلم والأناة)⁴؛ وفي ذلك تأكيدٌ على الثمار النفسية والاجتماعية لكظم الغيظ؛ إذ الحلم عفوٌ وتجاوز عن زلات الناس، وميل إلى سلامة القلب، والأناة تريث وتبصر في المواقف ودعوة إلى التعقل والحكمة وحسن التعامل .

1 كتاب (الصوم) باب (هل يقول: إني صائمٌ إذا شُتم؟) فتح الباري لابن حجر 612/4.

2 في باب (فضل الصوم). المرجع السابق.

3 التمهيد لابن عبد البر 302/7.

4 رواه مسلم في كتاب الإيمان باب مبايعة وفد عبد القيس للنبي ﷺ شرح النووي على مسلم 189/1.

قراءة تربوية لثمرات كظم الغيظ في السنة النبوية

وذلك يدلّ على أنّ كظم الغيظ من سمات الشخصية الناجحة التي تتمتع بالقدرة التأثير في غيرها، وتتميز بسعة الصدر وسلامة القلب، ولذلك يُجَبُّها الناسُ لنقائها من الغِلِّ والأحقاد؛ وقد أثنى الله عز وجل على الصالحين بقوله: (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا) (الحشر: 10) .
وقال عروة بن الزبير:

لن يبلغَ المجدَ أقوامٌ وإن شرفوا حتى يُدُلُّوا وإن عزُّوا لأقوام!
ويُشْتَمُوا فترى الألوانَ مشرقةً لا عفوَ ذُلٍّ ولكنَّ عفوَ إكرام!¹
ولا يخفى أنّ في قول النبي ﷺ: (إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)؛ ما يؤكد أنّ الغضبَ رِقٌّ واستعبادٌ للعبد؛ حيث يصير لاهتاً وراء الانتقام؛ فهو في الحقيقة أسيرُ نفسه؛ فهو لا يملكها بل تملكه! ومن هنا قال العلماء: "الناسُ قسمان: قسمٌ ظفرت به نفسه؛ فملكته وأهلكته؛ وصار طوعاً لها تحت أوامرها، وقسمٌ ظفروا بأنفسهم؛ فقهروها، فصارت طوعاً لهم مُنقادَةً لأوامرهم. قال بعضُ العارفين: انتهى سفرُ الطالبين إلى الظفر بأنفسهم! فمن ظفر بنفسه؛ أفلح وأنجح، ومن ظفرت به نفسه؛ خسر وهلك، قال تعالى: (فَأَمَّا مَنْ طَعَى، وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى، وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى) (النازعات : 37-41)² .

1 الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 208/4.

2 إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم ص 84. دار ابن زيدون بيروت.

قراءة تربوية لثمرات كظم الغيظ في السنة النبوية

وقديماً قال عنتره:

لا يحملُ الحقدَ مَنْ تعلقَ به الرُّبُّ ولا ينالُ العُلا مَنْ طَبَعَهُ الغضبُ!
ومَنْ يكنُ عبدَ قومٍ لا يخالفُهُمْ إذا جَفَوْهُ ويسترضي إذا عتبوا!

الثمرات الاجتماعية لكظم الغيظ:

[1] الغضب وأثره على منعه التعامل:

لما كان الغضب يؤدي إلى عزل المسلم عن غيره نفسياً واجتماعياً، وتنفير الناس منه؛ فقد أشار النبي ﷺ إلى ذم الشخصية التي يتقيها الناسُ مخافةً شرّها! كما قال صلى الله عليه وسلم: (إنَّ شرَّ الناسِ منزلةً عندَ الله يومَ القيامةِ مَنْ ودَّعه أو ترَكه الناسُ؛ اتقاءً فحشيه)!¹ قال الحافظ ابن حجر: "يترتب على الغضب تغييرُ الظاهرِ والباطنِ: كتغيير اللون والرعدة في الأطراف وخروج الأفعال عن غير ترتيب، واستحالة الخلقة؛ حتى لو رأى الغضبانُ نفسه في حال غضبه لكان غضبه من فُبْح صورته واستحالة خلقته، هذا كله في الظاهر، وأما الباطنُ فقبحه أشدُّ من الظاهر؛ لأنه يولِّدُ الحقدَ في القلب والحسد وإضرارِ السوء على اختلافِ أنواعه؛ بل أولى شيءٍ يقبح منه باطنه. وتغييرُ ظاهره ثمرةٌ تغييرِ باطنه. وهذا كله أثره في الجسد، وأما

1 رواه البخاري في كتاب الأدب. باب لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا متفاحشاً. فتح البارى 68/12، ورواه مسلم في كتاب البر والصلة. باب مداراة من يُتقى فحشهُ. شرح النووي على مسلم .14/16

قراءة تربوية لثمرات كظم الغيظ في السنة النبوية

أثره في اللسان فانطلاقه بالشتيم والفحش الذي يستحي منه العاقل، ويندم قائله عند سكون الغضب، ويظهر أثر الغضب أيضاً في الفعل بالضرب أو القتل!¹

ويؤكدُ ثمرات كظم الغيظ ثناء النبي ﷺ على مَنْ جاهد نفسه وقمع غضبه وهذب خلقه؛ حتى صار له الحلم مسلماً والرفق منهجاً، فقد روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: (إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على سواه).² و(إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يتزعج من شيء إلا شانه!)³

فالغضب يكدّر صفاء القلوب ونقاء السرائر، ويجعل الإنسان يتصرف بتوتر وانفعال، كما أن الغضب يعكّر على فرص التفاهم ويُفسد رُوح النقاش ويسدُّ سُبُل الحوار الصحيح؛ ويدفع الإنسان إلى الميل إلى الشدّة. وهذه الآثار ظاهرة في المناظرات وما ينجرُّ عنها في كثير من الأحيان من فسادٍ عريضٍ. وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن الرفق قضيةٌ منهنجٌ للتعامل مع الناس، وليست قضية خاصةً محصورةً في بعض الجوانب، فقد روت أمنا عائشة أن النبي ﷺ قال: (إن الله رفيقٌ

1 فتح الباري 12/151.

2 رواه مسلم في كتاب (البر والصلة) باب (فضل الرفق) شرح النووي على مسلم 16/146.

3 رواه مسلم، المرجع نفسه.

قراءة تربوية لثمرات كظم الغيظ في السنة النبوية

يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ! ¹ وقال جرير بن عبد الله: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول:
(من يُحَرِّمِ الرَّفْقَ؛ يُحَرِّمِ الْخَيْرَ كُلَّهُ!) ²

1 رواه البخاري في كتاب الأدب باب (الرفق في الأمر كله) . فتح الباري 64/12 . ورواه مسلم بلفظ (إنَّ

الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف) شرح النووي 146/16.

2 رواه مسلم في كتاب (البر والصلة) باب (فضل الرفق) شرح النووي على مسلم 146-145/16.

قراءة تربوية لثمرات كظم الغيظ في السنة النبوية

[2] كظم الغيظ علامة على التخلق بالعفو والإعراض عن الجاهلين:

وقال جلّ جلاله: (فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ) (الحجر: 85) وبين عز وجل أنّ النهي عن الغضب يجيء في سياق تربية الصبر وطلب المغفرة، كما في قوله تبارك وتعالى: (وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) (الشورى: 43) وقوله عز وجل: (وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ) (النور: 22).

ولا يخفى أنّ قوله تبارك وتعالى لرسوله ﷺ: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) (الأعراف: 199) دعوة عامة إلى المعروف؛ كما قال الحافظ ابن كثير: "أمر الله نبيه ﷺ أن يأمر عباده بالمعروف، ويدخل في ذلك جميع الطاعات، وبالإعراض عن الجاهلين؛ وذلك وإن كان أمراً لنبيه ﷺ؛ فإنه تأديب لخلقه باحتمال من ظلمهم واعتدى عليهم، لا بالإعراض عمّن جهل الحق الواجب من حق الله، ولا بالصفح عمّن كفر بالله وجهل وحدانيته وهو للمسلمين حرب".¹ والله در أي تمام حيث قال:

مَنْ لِي يَنْسَانِ إِذَا أَغْضَبْتُهُ وَجَهَلْتُ كَانِ الْجِلْمُ رَدَّ جَوَابِهِ!

وتراه يُصْغِي لِلْحَدِيثِ بِسَمْعِهِ وَيَقْلِبُهُ وَلَعَلَّهُ أَدْرَى بِهِ!

[3] كظم الغيظ سبيلٌ إلى الإصلاح بين الناس:

فالغضب من أعظم أسباب التنازع والتفرّق بين المسلمين، كما قال ابن التين: "جَمَعَ ﷺ في قوله: (لا تغضب!) خير الدنيا والآخرة؛ لأنّ الغضب يؤوّل إلى

1 تفسير القرآن العظيم لابن كثير 369/2.

قراءة تربوية لثمرات كظم الغيظ في السنة النبوية

التقاطع ومنع الرفق، وربما آل إلى أن يؤدي المغضوب عليه؛ فينتقص ذلك من الدين".¹

ومن روائع التعبير القرآني (والله يحب المحسنين) الجمع بين الجود بالمال والعفو؛ فالذين يجودون بالمال في السراء والضراء محسنون، والذين يجودون بالعفو والسماحة بعد الغيظ والكظم محسنون؛ (والله يحب المحسنين)... والجماعة التي يجبها الله وتحب الله، والتي تشيع فيها السماحة واليسر والطلاقة من الإحن والأضغان هي جماعة متضامنة وجماعة متآخية وجماعة قوية؛ ومن ثم علاقة هذا التوجيه بالمعركة في الميدان والمعركة في الحياة على السواء في هذا السياق!²

وقد بيّن الحافظ ابن كثير ذلك بقوله: "الناسُ رجلان: فرجلٌ محسنٌ؛ فخذ ما عفا لك من إحسانه، ولا تكلفه فوق طاقته ولا ما يُحرجه، وإما مسيءٌ فمُرّه بالمعروف، وإن تمادى على ضلاله واستعصى عليك واستمرَّ في جهله فأعرض عنه؛ فلعن ذلك أن يردَّ كيده كما قال تعالى: (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ، وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ، وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ) (المؤمنون: 96-98) وقال تعالى: (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ، وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) (فصلت: 34، 35) أي هذه الوصية (وإِذَا يَنْزَعْنَاكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزَعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (الأعراف: 200) وقال في

1 فتح الباري 12/150.

2 في ظلال القرآن لسيد قطب 4/475-476.

تذكرة تربية لثمرات كظم الغيظ في السنة النبوية

هذه السورة الكريمة أيضاً: (وإما يترغّبك من الشيطان نزعاً فاستعدّ بالله إنه سميعٌ علِيمٌ)؛ فهذه الآيات الثلاث في الأعراف والمؤمنون وحم السجدة لا رابعَ لها؛ فإنه تعالى يُرشد فيهنَّ إلى معاملة العاصي من الإنس بالتي هي أحسن؛ فإنَّ ذلك يكفُّه عما هو فيه من التمرد بإذنه تعالى¹.

وما أَلطفَ ما قرَّره ابنُ القيم شارحاً قولَ شيخ الإسلام الهروي: "إنَّ من حقائق التوبة طلبَ أَعذارِ الخليفة" فقد ذكر أنَّ مراده "إقامة أَعذارِهِم في إساءَتِهِم إليك، وجنابَتِهِم عليك، والنظر في ذلك إلى الأقدار، وأنَّ حركاتِهِم بمزلة حركاتِ الأشجار؛ فتعذرُهُم بالقدر في حقِّك — لا في حقِّ ربِّك فهذا حقٌّ — وهو من شأنِ ساداتِ العارفين، وخواصِّ أهلِ الله الكُمَّل: يفتي أحدهم عن حقِّه ويستوفي حقَّ ربِّه، ينظر في التفريط في حقِّه وفي الجنابة عليه إلى القدر... وهذه كانت حال نبينا ﷺ!"²

[4] كظم الغيظ تربية للتواضع:

وقد استشفَّ العلماءُ علاقةَ كظم الغيظ بالتواضع؛ من إشاراتِ وصيةِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم للرجل: (لا تغضب!)؛ فقد استنبطوا من ذلك لطائفَ عدَّةٍ، منها: "اجتنب أسبابَ الغضبِ ولا تتعرَّضْ لما يجلبه"، ومنها: "لا تفعلْ ما يأمرُك به الغضبُ"، ومنها: "لا تغضبْ؛ لأنَّ أعظمَ ما ينشأ عنه الغضبُ الكِبْرُ؛ لكونه يقع

1 تفسير القرآن العظيم لابن كثير 369/2.

2 مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم 196/1. دار الفكر بيروت. ط 1408هـ.

قراءة تربوية لثمرات كظم الغيظ في السنة النبوية

عند مخالفة أمرٍ يريد؛ فيحملة الكبر على الغضب؛ فالذي يتواضع حتى يذهب عنه عزّة النفس يسلم من شرّ الغضب!"¹

وكثيراً ما يقترن الغضب والسخط والغيظ بمشاعر الكبر والاحتقار، ولهذا نصّ العلماء على خفض الجناح للمؤمنين عند الخلاف، كما قال القشيري: "من علامات الخشوع للعبد: أنه إذا أُغضب أو خولف أو رُدّ عليه؛ أن يستقبل ذلك بالقبول!"² وما أحسن قول القحطاني:

لا تُفنِ عمرَكَ في الجدالِ مُخاصِماً إنَّ الجدالَ يُخلُّ بالأديانِ!
واحذرْ مجادلةَ الرِّجالِ فَإِنَّهَا تدعو إلى الشِّحناءِ والشَّنآنِ!³
وقد كان السلف الصالح أكثر هذه الأمة تواضعاً لأنهم أشد تعاهداً لهذه الأخلاق؛ حتى وصفهم بهم بأنهم (أذلة على المؤمنين) و(رحماء بينهم). وهو تعبير ذو ظلال وارقة فالعفو وكظم الغيظ؛ يتحولان إثر تعمقهما في حنايا النفس إلى نوع من الرحمة الدافقة والذلة الظاهرة! وهذا دليل على تعمق التغيير الاجتماعي الذي تصبو إليه الآيات في صياغتها للإنسان المسلم.

وقد قال الحافظ ابن كثير: "قوله تعالى: (والكاظمين الغيظ) أي لا يعملون غضبهم في الناس، بل يكفون عنهم شرهم ويحتسبون ذلك عند الله عز وجل ثم قال تعالى: (والعافين عن الناس) أي مع كف الشر يعفون عن ظلمهم في أنفسهم؛ فلا

1 نقل هذه المعاني عن أهل العلم الحافظ ابن حجر في فتح الباري 150/12.

2 الرسالة للقشيري ص 145.

3 نونية القحطاني ص 75.

قراءة تربوية لثمرات كظم الغيظ في السنة النبوية

يبقى في أنفسهم مَوْجِدَةً على أحدٍ، وهذا أكمل الأحوال؛ ولهذا قال: (والله يحب المحسنين) فهذا من مقامات الإحسان، وفي الحديث: (ثلاثٌ أُقسم عليهن: ما نقص مالٌ من صدقة، وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزاً، ومن تواضع لله رفعه الله) وروى الحاكم في مستدركه ... عن أبي بن كعب أن رسول الله ﷺ قال: (من سره أن يشرف له البنيان وترفع له الدرجات؛ فليعفُ عمن ظلمه، ويُعطِ من حرمه، يصل من قطعه)، ثم قال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقد أورده ابن مردويه من حديث علي وكعب بن عجرة وأبي هريرة وأم سلمة رضي الله عنهم بنحو ذلك".¹

[5] كظم الغيظ وأثره في حماية الحقوق:

لا شك أن الرجل الغضوب أقرب إلى العقوق منه إلى رعاية الحقوق؛ لأنه من أعجز الناس عن تجاوز الزلات، وأبعدهم عن النجاح في ربط العلاقات! ومعلوم أن المحبة تشفع عند الغضب! كما قيل:

وإذا الحبيب أتى بذنوبٍ واجِدٍ جاءت محاسنه بألفِ شفيع!
وما أحسن قول الطغرائي:

أخاك أخاك فهو أجلُّ دُخْرٍ! إذا نابتك نائبة الزمان!
وإن بانت إساءته فهبها إلى ما فيه من شيم حسان!
تريد مهذباً لا عيب فيه وهل عودٌ يفوح بلا دُخان!
فالهفوات وإن كانت تسوء؛ ولكن الحكيم يتجاوز عنها، كما قيل:

1 تفسير القرآن العظيم 529/1.

قراءة تربوية لثمرات كظم الغيظ في السنة النبوية

إذا رأيتُ ازوراراً من أخي ثقةً ضاقت عليّ برحّب الأرضِ أوطاني!
فإن صددتُ بوجهي كي أكافئه فالعينُ غضبي وقلبي غيرُ غضبان!
ومن شيم اللبيب ترك العتاب للحيب؛ وكأما عن البخاري هذا المعنى حين
ترجم (باب مَنْ لم يُواجهِ الناسَ بالعتاب!)¹ فمن الحكمة البالغة للمسلم أن يصيرَ
على زلات أخيه ويتجاوزَ عن هفواته؛ لأنّ ذنوبه مُغتفَرَةٌ في جانب أُخوتِه! ومن
الإصاف أن نستحضرَ عند الغضب من الكرامِ مواقفهم المعهودة ومحاسنهم
المشهودة! كما كان موقفُ النبي ﷺ مع الصحابة حينما غضبوا من حاطب بن أبي
بلتعة؛ فقد ذكّرهم بأنه من (أهل بدر) رضي الله عنهم جميعاً! فقد استحضر
الصحابة لحظّتهم الحاضرة وهفوة حاطب الظاهرة (بين يدي فتح مكّة)! وعاد النبي
ﷺ بقلبه الكبير إلى الماضي البعيد ومجده التليد! (إلى وقعة بدر الكبرى)؛ وما
أحسن قولَ الشاعر:

أخ كأيام الحياة إخاؤه تلوّن ألواناً عليّ خطوبها!
إذا عبتُ منه خلة² فعذرته دعّنتني إليه خلة لا أعيبها!
ولله درُّ النابغة الذبياني حيث قال:

ولست بمُستَبقٍ أخواً لا تُلمُّهُ على شعثِ أيِّ الرّجالِ المهدّب؟!

1 فتح الباري 141/12.

2 الخلة: الخصلة، وأما الخلة — بضم الخاء — فهي الصداقة والحمية. راجع المعجم الوسيط ص 276. طبع مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

قراءة تربوية لثمرات كظم الغيظ في السنة النبوية

الثمرات المنهجية لكظم الغيظ:

[1] أثر الغضب في انقلاب المفاهيم وانحراف المواقف:

من مهمات الوعي بالسنة النبوية أن نتبين العلاقة بين الغضب وبين صفاء المفاهيم وثبات المعايير! وأن ندرك الصلة ما بين الفظاظ في القول والحدة في السلوك وبين التذبذب في المنهج والانحراف في المواقف (كما سبق في نموذج عيينة بن حصن مع عمر رضي الله عنه).

ذلك أن الغضب يُفقد الإنسان توازنه ووقاره، ويحول بينه وبين القدرة على التفكير الصحيح، ويُعمي قلبه عن استحضار النصوص! ويُطفئ في جوانحه كل بصيص نور ينطلق من عقل رجيح!

وشتان بين (الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون) (الأعراف: 201) (والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخرؤا عليها صماً وعمياناً) (الفرقان: 73) وبين من ذمه القرآن بأنه (وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولينس المهاد) (البقرة: 206) فشتان بين الفريقين!

[2] كظم الغيظ علامة على الثبات والامتصام بالكتاب والسنة:

لا ريب أن كظم الغيظ يمكن الإنسان من القدرة على الوقوف عند النصوص وعدم تجاوزها، كما كان موقف عمر رضي الله عنه مع عيينة بن حصن حين هم به عمر، فذكره الحر بن قيس بقوله: "إن الله تعالى قال لنبية ﷺ: (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) وإن هذا من الجاهلين؛ فوالله ما جاوزها عمر حتى

قراءة تربوية لثمرات كظم الغيظ في السنة النبوية

تلاها عليه: وكان وقافاً عند كتاب الله!"¹ قال الحافظ ابن حجر: "أي يعمل بما فيه ولا يتجاوزهُ!"²

ورحم الله البخاري فقد أفرد في كتاب الأدب تراجم بديعةً وافيةً بهذا الغرض يأخذ بعضها بأعناقٍ بعض: باب [قول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) (التوبة: 119) وما يُنهَى عن الكذب]، وباب [الهدى الصالح]، وباب [الصبر في الأذى وقول الله تعالى: (إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) (الزمر: 10)]، وباب [من لم يُواجهِ الناسَ بالعتاب!]³

[3] كظم الغيظ ببعضه على الاستقراء في المنهج:

وقد أشار النبي ﷺ إشارةً بديعةً إلى ذلك عند تقريره أن الفجورَ في الخصومة من صفات النفاق العملي،⁴ وذلك في سياق ذكرِ علاماتِ المنافق: أنه (إذا خاصَمَ فجرًا!)⁵ قال الحافظ ابن حجر: "الفجورُ: الميلُ عن الحق، والاحتيالُ في ردِّه".⁶

ومن المهم أن نعلم أن من أخطر ما يُسببه الغضب؛ أنه يكشف ما في النفس من خزائية؛ وكم في الزوايا من خبايا! ذلك أن شدة الانفعال والطيش والحماقة التي

1 فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر 195/9.

2 فتح الباري 187/15.

3 فتح الباري لابن حجر 141-134/12.

4 هذا اختيار القرطبي وابن حجر، وهو أحسن الأقوال في المسألة. راجع فتح الباري 126/1.

5 رواه البخاري في كتاب الإيمان. باب علامات المنافق. فتح الباري 124/1.

6 المرجع السابق 125/1.

قراءة تربوية لثمرات كظم الغيظ في السنة النبوية

تُعقب الغضبَ صفاتٌ تبين حقيقة المرء وتكشف الأسرارَ وتهتك الأستارَ، كما قال ذو الإصبع:

كلُّ امرئٍ راجعٌ يوماً لشيئتهِ وإن تخلَّقَ أخلاقاً إلى حين!
وما أصدقَ قولَ زهير:

ومهما يَكُنْ عند امرئٍ من خليقةٍ وإن خالها تخفى على الناسِ تُعلم!
[4] كظم الغيظ التزاماً بمرآة الحكمة:

لا شكَّ أن كظم الغيظ يُعين على كبح العواطف ويمنح الإنسان قدرةً على تحكيم العقلِ وحسن التصرفِ في أصعبِ المواقف! فهو أعذبُ معينٍ وأعظمُ معينٍ على توطين النفس على القول السديد والفعل الرشيد، كما قال الله عز وجل في صفة الصالحين: (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا) (الفرقان: 63) أي إنهم "يمشون على الأرض حلماً متواضعين... وقال مجاهد: معنى (سلاماً) سداداً، أي يقول للجاهل كلاماً يدفعه به برفقٍ ولين... وقال الحسن: حلماً إن جهل عليهم لم يجهلوا!"¹

ومن الأدلة على أن كظم الغيظ يقرب الإنسان من التزام الحكمة في القول والفعل، ما رواه عائشة رضي الله عنها (أن يهوداً أتوا النبي ﷺ فقالوا: السام عليكم؛ فقالت عائشة: عليكم ولعنكم الله وغضب عليكم! قال: مهلاً يا عائشة؛ عليك بالرفق، وإياك والعنف والفحش! قالت: أو لم تسمع ما قالوا؟ قال: أو لم تسمعي ما قلت؟ رددت عليهم؛ فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم في!)²

1 الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 7/68-70.

2 رواه البخاري في كتاب الأدب. باب لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا متفاحشاً. فتح الباري

قراءة تربوية لثمرات كظم الغيظ في السنة النبوية

وقال الحافظ ابن كثير في تفسير قوله تعالى: (وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً): "أي إذا سفه عليهم الجهال بالقول السيء؛ لم يُقابلوهم عليه بمثله، بل يعفون ويصفحون ولا يقولون إلا خيراً، كما كان رسول الله ﷺ لا تزيد شدة الجاهل عليه إلا حِلماً! وكما قال تعالى: (وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه)، وقال الإمام أحمد... عن النعمان بن مقرن المزني قال: قال رسول الله ﷺ وسب رجل رجلاً عنده؛ قال: فجعل المسبوب يقول: عليك السلام؛ فقال رسول الله ﷺ: أما إن ملكاً بينكما يذُبُّ عنك كلما شتمك هذا؛ قال له: بل أنت وأنت أحق به! وإذا قلت: و عليك السلام؛ قال: لا بل عليك وأنت أحقُّ به!"¹

وقد روى البخاري أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما حضرا معاوية رضي الله عنه يخطب، فيقول: "من كان يريد أن يتكلم في هذا الأمر فليُريني قرْنَه؛ فلنحْنُ أحقُّ به منه ومن أبيه!"² قال حبيب بن مسْلمة: فهلا أجبته؟ قال عبد الله: فحللتُ حُبوتِي وهمتُ أن أقول: أحقُّ بهذا الأمر منك مَنْ قاتلك وأباك على الإسلام؛ فخشيتُ أن أقول كلمة تُفرِّقُ بين الجمع وتسفك الدَّم، ويُحمَل عني غير ذلك؛ فذكرتُ ما أَعَدَّ اللهُ في الجنان! قال حبيب: حُفِظْتَ وَعَصِمْتَ!"³

1 تفسير القرآن العظيم لابن كثير 430/3. وقال رحمه الله: "إسناده حسن، ولم يُخرجه".

2 وقد قرَّرَ الحافظ ابن حجر كلاماً نفيساً في شرح هذا الحديث، فقال: "كان رأي معاوية في الخلافة تقديم الفاضل في القوة والرأي والمعرفة، على الفاضل في السبق إلى الإسلام والدين والعبادة؛ ولهذا أطلق أنه أحقُّ. ورأي ابن عمر بخلاف ذلك؛ وأنه لا يُبايع المفضول إلا إذا خشي الفتنة؛ ولهذا بايع بعد ذلك معاوية ثم ابنه يزيد، ونهى بنه عن نقض بيعته". فتح الباري 163/8.

3 رواه البخاري في كتاب المغازي غزوة الأحزاب.

قراءة تربوية لثمرات كظم الغيظ في السنة النبوية

ولله درُّ أسماء بنت عميس؛ فقد غضبت حين قال لها عمر وقد جاءت من الحبيشة: "سبقناكم بالهجرة؛ فنحن أحقُّ برسول الله ﷺ منكم"؛ فغضبت رضي الله عنها غيراً على رسول الله ﷺ ومنافسةً في الخير؛ ولكنها ألزمت نفسها بالصدق والإنصاف فقالت: "وإني لأطعم طعاماً ولا أشرب شرباً؛ حتى أذكر ما قلتَ لرسول الله ﷺ... ووالله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد على ذلك!"¹

[5] كظم الغيظ وأثره في الاستقامة:

لا ريب أن الغضب يفقد الإنسان غالباً القدرة على التحكم بأقواله وأفعاله. بل إن المسلم ربما ضعف في حالات الغضب؛ فيحمله ذلك على التصرف بأخلاق الجاهلية، كما قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: (كنا مع النبي ﷺ في غزاة، فكسع رجلٌ من المهاجرين رجلاً من الأنصار؛ فقال الأنصاريُّ: يا للأنصار! وقال المهاجريُّ: يا للمهاجرين! فقال رسول الله ﷺ: ما بال دعوى الجاهلية... دعوها فإنها مُتَّبَعَةٌ!)² وروى البخاري عن أبي ذرٍّ قال: (كان بيني وبين رجلٍ كلامٌ، وكانت أمه أعجميةً؛ فقلتُ منها؛ فذكرني إلى النبي ﷺ فقال لي: أسابيت فلاناً؟ قلتُ: نعم، قال: أفنلتَ من أمِّه؟ قلتُ: نعم؛ قال: إنك امرؤٌ فيك جاهليةٌ! قلتُ: على حين ساعتي هذه من كبر السنِّ؟ قال: نعم!)³ فقد ظنَّ أبو ذرٍّ أن كبر السنِّ يمنع الإنسان من الجهل؛ فبيَّن له النبيُّ ﷺ أن ذلك ليس مرتبطاً بالشيخوخة وعدمها، وفي ذلك إشارةٌ إلى الأمرِ فيمن يملك نفسه عند الغضب!

1 رواه البخاري في كتاب المغازي. غزوة خيبر. فتح الباري 265/8.

2 رواه مسلم في كتاب البر والصلة. باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً. شرح النووي على مسلم 138/16. وكسع: أي ضرب دبر الرجل باليد أو الرجل أو السيف.

3 صحيح البخاري. كتاب الأدب. باب ما يُنهى عن السباب واللعن. فتح الباري 83/12.

قراءة تربوية لثمرات كظم الغيظ في السنة النبوية

فالغضبُ إذن من أخطر العوامل النفسية التي تُبعدُ المسلمَ عن الاستقامة التي أمر الله عز وجل بها، قال القشيري: "مَنْ لم يكن مستقيماً في حالته؛ ضاع سعيه وخاب جهده، قال الله تعالى: (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَصَتْ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا) (النحل:92)"¹ وقد قال الفريابي في شأن المنافقين: "من صفاتهم: كثرة التلون وسرعة التقلب، وعدم الثبات على أمرٍ واحدٍ؛ بينما تراه على حالٍ تُعجبك: من دينٍ أو عبادةٍ أو هديٍ صالحٍ أو صدقٍ إذ انقلب إلى ضدِّ ذلك كأنه لم يعرف غيره؛ فهو أشدُّ الناسِ تلوناً وتقلباً وتقللاً!"²

وقد أكثر العلماء من ذمِّ مَنْ لا يصفو له ودُّ أبداً! فقال عبد الله بن معاوية

الجعفري:

أنتى يكون أخواً أو ذا محافظةٍ من أنت من غيبه مُستشعرٌ وجلاً!
إذا تعيبت لم تبرح تظنُّ به ظناً وتساءلُ عما قال أو فعلاً!
فلا عداوته تبدو فتعرفها منه ولا وُدُّه يوماً له اعتدلاً!
ولم يروا شيئاً أقبح عند الحرِّ من التقلبِ وقلَّةِ الوفاء وعدمِ حفظِ الوُدِّ، كما قال المعري:

ظننت لتستفيد أخواً وفيّاً وضبيعت القديم المُستفاداً!³

1 الرسالة للقشيري ص 205.

2 صفة النفاق وذم المنافقين للفريابي ص 101. تحقيق محمد عبد الحكيم القاضي. دار الحديث القاهرة.

3 راجع تكملة للفائدة بحثاً في موقع المشكاة www.meshkat.net بعنوان: "الصدقة بين العُقوق ومُراعاةِ الحقوق!"

قراءة تربوية لثمرات كظم الغيظ في السنة النبوية

[6] كظم الغيظ معين على الإنصاف:

لا ريب أن كظم الغيظ يُعين الإنسان على الإنصاف، وأما التماذي في السخط؛ فإنه يؤدي إلى الحقد وغلبة الهوى والعصبيات والبُعد عن الحق؛ وذلك يقود إلى الوقوع في الأفاضل ولي أعناق النصوص والتَّحْيِيل على السنن، وكل ذلك يعكّر على الإخلاص في العلم. كما قال الحافظ شمس الدين الذهبي رحمه الله في وصيته النافعة ونصيحته الجامعة لطالب الحديث: "إن أنست يا هذا من نفسك فهماً وصدقاً وديناً وورعاً، وإلا فلا تتعنَّ. وإن غلب عليك الهوى والعصبيَّة لمذهبٍ و رأيٍ فبالله لا تتعب! وإن عَرَفْتَ أنك مُخَبِّطٌ مُخَلِّطٌ مُهْمِلٌ لحدودِ الله فأرحنا منك، فبعد قليل ينكشف البهرج وينكَبُ الزغل (ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله) فقد نصحتك!".¹

وقد شرح الحافظ ابن حجر باب (حسن الخلق) من كتاب الأدب في صحيح البخاري بقوله نقلاً عن القرطبي في (المفهم): "الأخلاقُ أوصافُ الإنسان التي يُعاملُ بها غيره، وهي محمودةٌ ومذمومةٌ، فالمحمودة على الإجمال: أن تكونَ مع غيرك على نفسك؛ فتتصف منها ولا تتصف لها، وعلى التفصيل: العفو والحلم والجود والصبر وتحمل الأذى والرحمة والشفقة وقضاء الحوائج والتوادم ولين الجانب ونحو ذلك".²

ولله درُّ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها؛ فقد عَفَتْ عن حسان رضي الله عنه، وكظمت غيظها؛ إنصافاً له واعترافاً بسابقته في نُصرة رسول الله ﷺ! كما

1 في ترجمة الصديق رضي الله عنه من تذكرة الحُفَاط 4/1. دار إحياء التراث العربي بيروت. تحقيق العلمي اليماني.

2 فتح الباري 73/12.

قراءة تربوية لثمرات كظم الغيظ في السنة النبوية

روى البخاري عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما "أن حسان بن ثابت كان ممن كثّر على عائشة؛ فسبّته! فقالت: يا ابن أخي دعه؛ فإنه كان ينفح عن رسول الله ﷺ!" وفي رواية: "كانت عائشة تكره أن يسبّ عندها حسان؛ وتقول: إنه الذي قال:

فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء!"¹

وقد نصّ أهل الحديث على أن السخط قد يدفع إلى التحامل؛ حتى يجرح الناقد ثقة حجة؛ لما يقع بينهما من النزاع، وهذا كثير في كلام الأقران في بعضهم! ومن ذلك ما ذكره ابن الصلاح من طعن الإمام النسائي في الحافظ الثقة أحمد بن صالح المصري، فقال: "قد كان من أحمد إلى النسائي جفاء أفسد قلبه... والنسائي إمام حجة في الجرح والتعديل؛ وإذا نُسب مثله إلى مثل هذا كان وجهه أن عين السخط تُبدي مساوي لها في الباطن مخارج صحيحة؛ تُعمي عنها بحجاب السخط، لا أن ذلك يقع من مثله تعمداً لقدح يعلم بطلانه".²

ولله درُّ العراقي حيث نظم ذلك بقوله:

وربّما ردّ كلام الجراح كالتسّي في أحمد بن صالح
وربّما كان لجرح مخرج غطّي عليه السخط حين يخرج!³

1 راجع حديث الإفك. فتح الباري 198/8.

2 مقدمة ابن الصلاح ص 390. بهامش التقييد والإيضاح للعراقي. مؤسسة الكتب الثقافية. بيروت.

3 فتح المغيب بشرح ألقى الحديث لعبد الرحيم العراقي 150/4. دار الكتب السلفية القاهرة. ط2. 1403 هـ. و(يجرح) بمعنى يضيّق، كما قال ابن فارس: "الحاء والراء والجيم: أصل واحد... وذلك تجمّع الشئ وضيقه". معجم المقاييس 50/2.

قراءة تربوية لثمرات كظم الغيظ في السنة النبوية

خاتمة:

وبعد، فهذه بحمد الله طائفة من ثمرات كظم الغيظ: من النواحي الإيمانية والأخلاقية والنفسية والاجتماعية والمنهجية لكظم الغيظ.

[1] وهي تؤكد أهمية كظم الغيظ والعفو عن الناس، وشدّة حاجة المسلمين إليها وإلى أمثالها من المسائل التربوية التي تنهض بالمسلمين، وتعود بهم إلى قيادة العالمين؛ لاسيما في هذه الأيام التي كثرت فيها الأحقاد! والله ما أحسن قول الشاعر:

كُنْ كالنخيلِ عن الأحقادِ مرتفعاً يؤذَى برحمٍ فيعطي خيراً إثمَاراً!

واصبرْ إذا ضقت ذرعاً والزمانُ سطا لا يحصل اليسرُ إلا بعد إعسارِ!

[2] ومن المهمّ التنبيه هاهنا إلى أن الغضب قد يكون لأغراضٍ غير شرعية؛ ولكنها تندثر بلبوس الغيرة على الشرع؛ وصولاً إلى أغراضها! كما بين الغزالي ذلك في سياق كلامه عن الغيبة التي "تختصُّ بأهل الدين خاصة، وهي أغمضها وأدقُّها؛ لأنها شرورٌ خبأها الشيطانُ في معرض الخيرات، وفيها خيرٌ؛ ولكن شاب الشيطانُ بها الشر!"¹ ونبّه الشاطبي رحمه الله على خطورة الأهواء المتلبسة بالشرعيات، فقال: "اتباعُ الهوى طريقٌ إلى المذموم؛ وإن جاء في ضمن الحمود! وهو في الأحكام الشرعية مَظِنَّةٌ لأن يُحتالَ بها على أغراضه؛ فتصير كالألة المَعْدَّة لاقتناص أغراضه... ومن تتبّع مآلات الهوى في الشرعيات؛ وجد من المفاصد كثيراً!"² والله درُّ

1 الإحياء مع إتحاف السادة المتقين للزبيدي 545/7.

2 الموافقات للشاطبي 176/2.

قراءة تربوية لثمرات كظم الغيظ في السنة النبوية

ابن رجب ما أطف ما استنبطه من حديث سهل بن سعد: (إنَّ الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار)¹ فقال: "قوله (فيما يبدو للناس) إشارة إلى أن باطن الأمر يكون بخلاف ذلك؛ وأنَّ خاتمة السوء تكون بسبب دسيسة باطنة للعبد لا يطَّلَعُ عليها الناس!"²

[3] ومما يُوصي به هذا البحث: أن يهتمَّ طلابُ العلم باستحضار ما كان يُدندن حوله الأخبارُ من الفوز بالجنة والنجاة من النار؛ ومن ابتليَ منهم بحبِّ المناظرات وتصيدِ الزلات، وتعبِّب العلماء والطعن على الفضلاء؛ فإنه على خطرٍ عظيمٍ إن لم يُتَّب إلى الله عزَّ وجل!

[4] ومن توصياتِ هذا البحث كذلك: الدعوة إلى العناية بالنواحي التربوية في السنة النبوية؛ ولم يزلْ شأنُ أهلِ العلمِ التفقَّه في الدِّين، وهمَّهم الاشتغال بما ينفع في الدارين؛ فإنَّ العلوم كثيرة، والحاجة إلى التفقَّه في الدِّين أعظمُّ ضرورة، كما قيل:

وإذا طلبتَ العلمَ فاعلمْ أنَّه حِمْلٌ فأبصرْ أيَّ حِمْلٍ تحمِلُ؟
وإذا علمتَ بأنَّه متفاضلٌ فاشغلْ فؤادك بالذي هو أفضلٌ!³

[5] ينبغي أن نستحضرَ الوظيفة الدعوية في منهج الكتابة في السنة النبوية؛ ونبتعدَّ عن الدراسات النظرية التي لا طائلَ من ورائها؛ فما جاءت السنة إلا لما ينفع

1 متفق عليه.

2 جامع العلوم والحكم لابن رجب ص 78.

3 لسان الميزان لابن حجر 174/3. استفدته من (قيمة الزمن عند العلماء. للشيخ عبد الفتاح أبو غدة ص 104. دار البشائر. بيروت. ط5).

تراءة تربوية لثمرات كظم الغيظ في السنة النبوية

الناس! وقد ضربَ النبي ﷺ مثلاً لمن تفقه في الدين وانتفع بسنة النبي ﷺ بقوله ﷺ: (مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً؛ فكان منها نقيةً قبلت الماء؛ فأنبتت الكلاً والعشبَ الكثير... فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به!)¹

[6] ومن أعظم ما يُستفاد من هذا البحث ونحوه من الأبحاث التربوية: العودة إلى الذاتِ بالتقوية والتركية؛ فهذه ثمرة العلم النافع! ورحم الله ابن القيم حيث قال: "خلق الله سبحانه النفسَ شبيهةً بالرحى الدائرة التي لا تسكن ولا بد لها من شيءٍ تطحنه... فمن الناس من تطحن رحاه حَبًّا يخرج دقيقاً ينفع به نفسه وغيره، وأكثرهم يطحن رملاً وحصى وتبناً ونحو ذلك؛ فإذا جاء وقتُ العجن والحيز تبيّن له حقيقة طحينه!"²

1 رواه البخاري في كتاب العلم. باب (فضل من علم وعلم). فتح الباري 236/1.

2 الفوائد لابن القيم ص 194.